

تجليات فكر ما بعد الاستعمار من منظور مالك بن نبي
The Manifestations of Post-Colonial Thought from the Perspective of Malik
Bennabi

* احسن خشة

جامعة 08 ماي 45 قالة (الجزائر)

University of 08 Mai 45 Guelma (Algeria)

khacha.ahcene@univ-guelma.dz

تاريخ النشر: 2025/09/02

تاريخ القبول: 2025/07/25

تاريخ الإرسال: 2025/03/15

ملخص البحث

تتناول هذه الورقة العناصر الأساسية لخطاب ما بعد الاستعمار في أعمال المفكر الجزائري مالك بن نبي. وتسلط الضوء على العوامل التي ساهمت في استمرار الظاهرة الاستعمارية تاريخياً وفي السياق المعاصر. استكشف بن نبي ديناميكيات العلاقة بين الذات والآخر، وقدم مفهوم "القابلية للاستعمار" لوصف العوامل الداخلية، في حين حدد "الاستعمار" كعامل خارجي. كما قام بتحليل منهجي لأبعاد هذه التأثيرات ومؤثراتها. وعلى ضوء قراءة ما تيسر من الإسهامات الفكرية المتعددة والمعمقة لدى الكاتب، أمكن استخلاص جملة من الأساليب التي ينتهجها المستدمر في بسط هيمنته على البلاد المستعمرة، ونذكر منها: تغذية الاصطفاف الأيديولوجي، تكريس الازدواجية، التلوّث الأخلاقي، عزل الفكر المقاوم. إضافة إلى تبيان بعض المعالم في إمكانية التخلص من وضعية الهيمنة.

الكلمات المفتاحية: مالك بن نبي، الاستعمار، القابلية للاستعمار، فكر ما بعد الاستعمار

Abstract

This paper examines the foundational elements of postcolonial discourse in the work of the Algerian intellectual Malek Bennabi. It highlights the factors that contributed to the persistence of colonialism, both historically and in contemporary contexts. Bennabi explored the dynamics between the self and the other, introducing the concept of "the predisposition to be colonized" to describe internal factors, while identifying "colonialism" as the external factor. He systematically analyzed the dimensions and indicators of these influences.

* احسن خشة : khacha.ahcene@univ-guelma.dz

Through an in-depth review of Bennabi's extensive intellectual contributions, several strategies employed by colonizers to establish and maintain dominance over colonized societies are identified. These strategies include fostering ideological polarization, reinforcing cultural duality, promoting moral degradation, and suppressing resistant thought. Additionally, the paper outlines potential pathways for overcoming colonial domination.

Keywords: Malik bin Nabi, colonialism, colonialism, post-colonial thought



مقدمة

ان تحول الغرب "الاستعماري" من استراتيجية احتلال الأرض الى استراتيجيات احتلال العقل، تسير وفق خطة محكمة يشوبها غموض متعمد من الناحية الاجرائية، ولذلك فان التغيرات الطارئة هنا وهناك في المستعمرات السابقة لا تأتي عفوية، بل هي نتاج للأساليب المعتمدة في صياغة الخطابات وتوجيه الأحداث بطريقة مقصودة تبقي الهيمنة والنفوذ لصالح دول المركز التي تجمع بين استخدام وسائل القوة من جهة و الوسائل الناعمة من جهة أخرى ، وذلك على حساب باقي دول العالم والتي يصطلح عليها بدول الأطراف .

تروم هذه الورقة الكشف عن استراتيجيات المستعمر (بكسر الميم) في ابقاء الهيمنة على المستعمر (بفتح الميم) وذلك من خلال اسهامات المفكر الجزائري مالك بن نبي كشخصية 'عالم ثالثة' مطلعة على نقائص البيئة المستعمرة (بفتح الميم) ومؤامرات البيئة المستعمرة (بكسر الميم)، لاسيما وأنه عايش الفترة الاستعمارية في الجزائر وسجل ملاحظاته على السلوك الاستعماري بها ، اضافة الى المامه بما تتميز به الذهنية الاستعمارية خاصة وانه قضى فترة زمنية معتبرة فيها خلال دراسته بفرنسا. وهذه التجربة المزدوجة والثرية تضيي قيمة نوعية على الأفكار التي يطرحها في مجال تفكيك وتشرح الفكر الاستعماري.

ما من شك في أن الاطلاع على الأدبيات والاسهامات الغربية المختلفة في مجال الدراسات الثقافية والنقد الثقافي عموما مفيد من الناحية المعرفية والتطبيقية، الا أن الاطلاع على أطروحات المفكرين الملتزمين بأوضاع المنطقة العربية والاسلامية يجعلنا نستوعب البعد الوظيفي الذي يمكن أن تقودنا اليه الدراسات والأبحاث في هذا المجال، كمساهمة في الارتقاء بالواقع واجراء التعديلات المناسبة ضمن السياسات الثقافية المعتمدة من خلال المؤسسات الفاعلة في هذا الاطار .

تشكل كتابات المفكر الجزائري مالك بن نبي منطلقات تأسيسية في ما يعرف بدراسات ما بعد "الاستعمار"، وهي مناسبة للتطبيق على مدار زمني يستغرق الفترة الاستعمارية وما بعدها، الأمر الذي يمكننا من تشخيص الأوضاع التي

تعايشها المنطقة العربية والإسلامية التي تمكنت من طرد المحتل الأجنبي من أراضيها، ولكن آثار الاستعمار ومخلفاته تبدو قائمة في مناحي ثقافية وفكرية وأدبية لا تخطئها العين.

تستعرض هذه الورقة بداية المرتكزات الأساسية في فكر ما بعد "الاستعمار"، ثم توضح الاستراتيجيات الاستعمارية في بسط الهيمنة الثقافية على البلدان المستعمرة، وصولاً إلى سبل تحقيق الفعالية والتحرر من القابلية للاستعمار، وذلك اعتماداً على الأفكار المبتوثة في كتب المفكر مالك بن نبي.

أولاً : تحديد المصطلحات

1. الكولونيالية:

يشير إلى تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات من نتائج يعبر عن توجهات استعمارية آزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب على أساس أن ذلك الناتج يشكل في مجمله خطاباً متداخلاً بالمعنى الذي استعمله (فوكو) لمصطلح خطاب¹

2. ما بعد الكولونيالية:

ما بعد الكولونيالية ينطلق من فرضية أن الاستعمار التقليدي قد انتهى وأن مرحلة من الهيمنة تسمى أحياناً المرحلة الامبريالية أو الكولونيالية قد حلت وخلقت ظروفًا مختلفة تستدعي تحليلاً من نوع معين² إذ خلف الاستعمار أنماطاً من الثقافات الهجينة المكونة من الثقافات المحلية وأطياف من ثقافة المستعمر ومزيج من المواقف المؤدجة والمناهضة، كما كان للاستعمار أدبياته المؤدجة والتعليمية للسيطرة على الأهالي³. تجدر الإشارة إلى أن هناك غموضاً يكتنف الفترة الزمنية المقصودة بالدراسات ما بعد الكولونيالية، فهناك من يحددها في فترة ما بعد الاستقلال، وهناك من يجمع بين المرحلة الاستعمارية وما بعدها. وفيما يرتبط بهذه الورقة البحثية فإنها تتبنى الطرح الثاني الذي يشتمل على المرحلة الاستعمارية وما بعدها، ذلك أن هناك شواهد متعددة تؤكد أن مستدمر الأمم ما يزال حريصاً على استمرار نفوذه الثقافي في مستعمراته السابقة بشكل عام، إضافة إلى أن تتبع السلوك الاستدماري بالأمس يساعدنا في فهم الطرق التي يستحدثها اليوم في محاولته الدائمة لاستمرارية الهيمنة والنفوذ على مستعمراته السابقة.

من الأعمال الأدبية الإفريقية التي تعكس محاولات قراءة التاريخ من وجهة نظر الدول المستعمرة نجد الرواية المشهورة الأشياء تتداعى Things Fall Apart للكاتب تشيناو اتشيبي Chinua Achebe، والتي يبدو أنها تتضمن ما يشبه إعادة قراءة للبيئة الإفريقية إبان الفترة الاستعمارية، تناقض ما تضمنته رواية جوزيف كونراد "قلب الظلام"

Heart of Darkness

ثانياً: مرتكزات فكر ما بعد الاستعمار عند المفكر مالك بن نبي

1. الأهداف "الاستعمارية"

تستهدف الاستراتيجية "الاستعمارية" الفرد بوصفه حاملاً لثقافة، بصفة مباشرة من خلال احتوائه وزعزعة قناعاته الأخلاقية، فيتحوّل لقمة سائغة ينفذ ما يريده أعدائه، وهذا ما تدل عليه فكرة الخيانة والتي تتخذ أنماطاً مختلفة. فإذا استعصت هذه المهمة بسبب قوة الثقافة السائدة ونجاحها في تحصين أفرادها، فإن الخطوة البديلة تقتضي أن يتصدر مواقع

النفوذ والهيمنة وكلاء فكريون عن هذا المستعمر لكي ينجزوا المهمة المطلوبة في تهيئة الأرضية المناسبة للاختراق الثقافي المرغوب والذي يفسح المجال للهيمنة الشاملة ، ويبقى المستهدف الرئيسي في هذا المجال هو الفرد نفسه. يقول الأستاذ مالك بن نبي : " ان الاستعمار يسعى أولا أن يجعل من الفرد خائنا ضد المجتمع الذي يعيش فيه، فان لم يستطع فانه يحاول أن يحقق خيانة المجتمع لهذا الفرد على يد بعض الأشرار " ⁴. وفي هذا السياق تتعدد مجالات الاستهداف لدى الفرد بحيث ترتبط بلغته، بتاريخه، بقيمه، بتقاليد المتوارثة، بالرموز التي تنبؤا مكانة عنده، بالتشكيك في معتقداته ونحو ذلك . بمعنى اخر تستهدف البعد المعنوي لدى الفرد لكي تمنع تشكل نشاط جماعي موجه نحو تحقيق الإنجازات المطلوبة. ولعل المتأمل في واقع المجتمعات التي تخلصت من الاستعمار المباشر يلحظ بوضوح أنها فشلت فشلا ذريعا في بناء الانسان وحتى في تشييد العمران .

ان إشاعة الجبل بدل العلم يعني تكريس وضعية التخلف في المنطقة "المستعمرة"، بحيث لا يفكر السكان الأصليون في مقاومة الظلم القائم بفعل الاحتلال، كما أنه يحول بينهم وبين النهوض بواقعهم في ضوء الإمكانيات المتاحة لهم، وهذا يضمن له استنزاف مقدرات الأمة لأطول فترة ممكنة. إضافة الى أنه يضمن تغييب الشهود والشهادات على جرائم المستعمر، بحيث يزيل من الذاكرة الجماعية كل أثر لما خلفه المستعمر من خراب، وربما يصور للأجيال اللاحقة زورا وبهتانا أن ما ارتكبته اياديه الاثمة لما يكن سوى اعلما وامتدادا لما يتوهم أنه حضارة .

ونظرا لكون الثقافة هي التي تشكل المجتمع، وهذا الأخير يتحقق تماسكه بالأخلاق الفاضلة، فان المستعمر الغاشم يعتمد الى اشاعة الرذيلة في المجتمع مما يؤدي الى تسميم العلاقات الاجتماعية ، فتتوارى معاني الأمانة والصدق والحياء، وتحل محلها الخيانة والكذب والسرقه، فيغض الأفراد بعضهم بعضا، ويتفكك الرباط المعنوي الذي يجمعهم، وبذلك تسهل مهمة المستعمر في احتواء الوضع المحلي وتوجيهه بما يخدم مصالحه.

كما يعمل "المستعمر " على تفريق المجتمع، لأن سياسة فرق تسد تكفل له السيطرة على الوضع العام في البلاد المستعمرة، وتمنع تضافر الجهود التي قد تشكل مصدرا لمقاومة شديدة قد تنسف مشروع الاستعمار، ولذلك فان تشكل أحزاب متفرقة سوف يؤدي بثماره خاصة اذا ساد الصراع والتنافس بدل التعاون والوفاق. يقول الأستاذ بن نبي "كلما وضع الاستعمار الترتيبات اللازمة لإفقار المستعمر ماديا، فانه يتبعها بالترتيبات الخاصة بتلويثه الأخلاقي، ليزيد الافقار والتلوث معا في اتساع الهوة التي يجعلها أمام (القاصر) حتى لا يستطيع بلوغ رشده أبدا" ⁵ .

لقد حرص المستعمر الغربي على أن يكون الفرد في البلاد المستعمرة بطالا، يمنع عنه سبل كسب الرزق، فيسلم نفسه للتكالية والتسول وبذلك يفقد كرامته وتهون عليه نفسه، وبذلك يكون جاهزا للقيام بأي مهمة تتطلب منه وخاصة ما تعلق منها بخيانة وطنه، لأنه فقد احترامه لنفسه، وتمت الهيمنة عليه. والفقر هو مفتاح انتشار الرذيلة في المجتمع، لأن الفرد الذي يفتقد الى أسباب العيش الكريم يعمد الى سلوك مسارات خاطئة يؤدي بها نفسه، ويلوث البيئة من حوله .

2.ثنائية الاستعمار والقابلية للاستعمار

يرتكز تحليل المفكر مالك بن نبي للظاهرة الاستعمارية على مساءلة الذات والاخر، لكونها مرتبطان ارتباطا وثيقا، فالاستعمار بكل ما يمثله من قوة بطش وغطرسة واجرام لا نظير له في تاريخ الانسانية، يوجه فعله نحو تعطيل تنمية الفرد ، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد حرص المستعمر الفرنسي الغاشم على منع ومعاقبة من يستخدم اللغة العربية، مما يدل

على حرصه على طمس الهوية الوطنية. وهذا أمر متوقع حدوثه من قبل المستعمر. وفي الجهة المقابلة يتوقع من المستعمر (بفتح الميم) أن يظهر رد فعله المقاوم ويستجمع ما تقع عليه يده وما تتيحه له الظروف القائمة والأوقات المتوفرة والجهود التي يجب أن توضع موضع التنفيذ في سبيل تحقيق انجاز ما، فهنا بلغت قوة الاستعمار فان التفوق العددي مثلا ليس في صالحه، وهناك اليات متعددة يمكن تفعيلها اذا ما توفرت الإرادة، ولكن موقف المستعمر سلبى للغاية، ولذلك يفترض المفكر بن نبي أن العامل الداخلي ممثلا في القابلية للاستعمار هو الذي أوجد الأرضية الخصبة التي مهدت للهيمنة الاستعمارية بشتى تجلياتها. ففوة المستعمر نابعة من ضعف البلاد المستعمرة وقابلية أهلها للاستعمار، وجاهزية البعض من أهلها للقيام بدور العمالة. يقول المفكر مالك بن نبي أن "كون المسلم غير حائز جميع الوسائل التي يريدها للتنمية شخصيته، وتحقيق مواهبه، ذلك هو الاستعمار، وأما ألا يفكر المسلم في استخدام ما تحت يده من وسائل استخداما مؤثرا، وفي بذل أقصى الجهد ليرفع من مستوى حياته حتى بالوسائل العارضة فتلك هي القابلية للاستعمار"⁶ وعادة ما يتم تبرير انعدام الفعالية بهذه اللآء وفق ما أشار اليه المفكر بن نبي: لا نستطيع عمل أي شيء لأننا جاهلون، لا نستطيع عمل أي شيء لأننا فقراء، لا نستطيع عمل أي شيء لأننا مستعمرون"⁷ وهذه اللآء الثلاثة ترتبط بنفسية وتفكير المستعمر أي بالعوامل الداخلية، وهذه المبررات التي تتوارى خلف انعدام الفعالية الاجتماعية في مقاومة الظلم الاستعماري لا يمكن القبول بها، فاذا كان هناك حمل منتشر، فان الفئة المتعلمة والمتقنة يمكنها النهوض بهذا الدور في حدود الامكانيات المتاحة بدل الاستسلام للواقع.

واذا كان الفقر سائدا بدرجة كبيرة فان هناك اشكالا في توجيه رأس المال أكثر من وجود نقص في الأموال، بدليل وجود طبقة برجوازية مسلمة ولكنها ليست ذات فعالية في تقديم المساعدة الضرورية التي تسهم في النهوض بالمجتمع. وأما وضعية الاحتلال فان التفوق العددي لأصحاب الأرض كفيل بدحر المعتدي مهما بلغت قوته وجبروته، ولذلك فان إمكانية القيام بأفعال كثيرة تظل قائمة اذا توفرت الإرادة والعزم.

يعتمد المفكر بن نبي على الطريقة المقارنة الثقافية، ففي بعض البلاد اكتفى " المستعمر " (بكسر الميم) باحتلال الأرض مثلما حدث مع ألمانيا بعد الحرب العالمية، ولكن فعالية المجتمع الألماني أمكنته من تغيير الوضع وتحقيق الإنجاز المطلوب والنهوض من جديد في شتى مناحي الحياة. وفي المقابل هناك بلدان أخرى تجاوز فيها المستعمر وضعية الاحتلال الى درجة "الاستعمار"، وهي الوضعية التي ساهم فيها توفر مقدمات نفسية واجتماعية ارتبطت بخصوصية انسان ما بعد الموحدين. فالمجتمع في هذه الحالة انعدمت فيه الفعالية وركن الى الأمر الواقع، وهو الأمر الذي جعل المستعمر يبدع أدواته الفكرية والنفسية لمحاصرة كل امكانية للتحرر والانفلات من الهيمنة.

3. ثنائية الغموض والفعالية

يؤكد المفكر مالك بن نبي على فكرة أساسية مؤداها أن محاولات المستعمر في احداث تغييرات في البلاد المستعمرة تتيح له احتواء أوضاعها بشكل يخدم مصالحه لا تزال قائمة، ولكن يبدو أن الغالبية من شعوب البلاد المستعمرة ليست واعية بالإجراءات والليات المعتمدة، وأن كل ما يمكنها الإحاطة به هو استكشاف نتائج هذا الصراع الفكري المحتدم، والذي يعتمد على مبدأين أساسيين أوصحها الأستاذ مالك بن نبي وهما " مبدأ الغموض: يقضي بالآ يكشف الاستعمار عن وجهه في المعركة الا اذا لم تترك له الظروف حيلة. مبدأ الفعالية: هدف الاستعمار لا يتعلق في

الأساس بشخص معين، ولكن بأفكار معينة يريد تحطيمها حتى لا تؤدي مفعولها في توجيه الطاقات الاجتماعية في البلاد المستعمرة⁸ .

ينطلق المفكر بن نبي في تبيان ردود فعل المستعمر تجاه الفكرة التي تمثلت في كتابه " شروط النهضة " ، وهو عنوان ملفت للانتباه كونه يلمح الى الخروج من دائرة التخلف الى دائرة الفعالية الحضارية، ورغم أنها موجهة أساسا لمجتمع لا يزال مستغرقا في غفلته، إلا أنه يحمل ضمنيا خطابا مقاوما للهيمنة الاستعمارية، ولذلك من المتوقع أن تكون ردود الفعل تجاهه على قدر من الاتساق، وبشكل يخفي المحرك الرئيسي في العملية والذي يتوارى خلف المسرح متفردا للتحكم بخيوط الفعل.

والهدف من وراء ذلك هو أن يتحول الصراع من معركة تدور بين فعل المقاومة والاستعمار نفسه، الى معركة تدور رحاها بين القوى الممثلة للشعب المستعمر نفسه. بمعنى اخر بدل أن تستجمع المقاومة كل مقوماتها في مواجهة عدو موحد ممثلا في المستعمر نفسه، فإن الوضع يتحول الى صراع داخلي يستنزف الطاقات والمجهودات وتبادل الاتهامات، وبذلك تنشغل هذه القوى بتوجيه الاتهام والرد عليه من هنا وهناك، بين هذا الطرف وذاك . وبذلك تضع الجهود سدى، والمتنصر الأول في المعركة هو المستعمر الذي نجح في احتواء الفكرة قبل أن تجد طريقها الى العقول. واستعمل في تسويق هذا المقصد صحفا من توجهات فكرية متعددة، وكأنها أطياف سياسية تحقق لها الاجماع على هدف مشترك، ولكنها سهام موجهة لأهل الدار، بدل أن توجه للغريب الذي احتل الأرض وأهلك الأرض والنسل. في وضع كهذا من الصراع الداخلي بين أفراد المجتمع الواحد يتفرغ المستعمر لاعداد العدة لانتقال الى مواقع متقدمة في احكام السيطرة والنفوذ.

ثالثا: استراتيجيات "استعمارية" في بسط الهيمنة الثقافية

من الواضح أن الادارة الاستعمارية تتحرك في البلاد المستعمرة وفق توجيه نوعين من الأجهزة، يرتبط أولها بالجهاز العسكري وكل ما يتبعه من مصالح مدعمة لفرض سلطة المستعمر على الأرض، وتحطيم كل محاولة للمقاومة، وهو ما يمكن معاينة معداته في مواقع المواجهة المباشرة أو في مواقع ذات مهمة خاصة بتسيير شؤون المستعمرات. وفي المقابل هناك جهاز متكامل يختص بالإدارة الفكرية والهيمنة الثقافية على الشعوب المستعمرة، بحيث يتابع حركة الأفكار والمؤشرات الدالة على وجود فعل ما يشكل خطرا محتملا على الاستعمار نفسه. وقد عبر الأستاذ مالك بن نبي على فعالية وخطورة هذا الجهاز الخفي بقوله "عند الاستعمار معلومات عنا، أكثر بكثير مما عندنا عنه"⁹ .

وهذا معناه أن هناك مراكز رصد متخصصة في متابعة دقائق الأمور المتعلقة بالبلاد التي تم احتلالها ، وهو ما يجعله يتمكن من ضبط الإيقاع المناسب لتصرفاته تجاهنا وفقا للمناخ السائد عندنا، وبالتالي يتمكن من صياغة خطته ومشاريعه وتنفيذها في الوقت المناسب. ولعل من أبرز الأشكال التي تؤدي مثل هذا الدور في المتابعة الدقيقة لكل التطورات الحاصلة في مناطق مختلفة من العالم هو ما يصطلح عليه "مراكز الأبحاث" أو "مراكز الفكر"، "Think tanks" وهي مؤسسات تركز على البحث والتحليل في مجالات مختلفة، مثل الاقتصاد والتعليم والتكنولوجيا ونحو ذلك .

ومن خلال قراءة ما ورد في كتب المفكر بن نبي، يمكن أن نحدد بعض الاستراتيجيات الاستعمارية في النقاط الآتية :

1. احتواء الأفكار المثيرة

الآلية الأولى المعتمدة من قبل المستدمر تتمثل في الالهاء، لأنه لا يريد أن يشغل السكان الاصليون بمشاكلهم بغرض تشخيصها بدقة وعرض البدائل الممكنة لاحتوائها، لأن ذلك يسهم في إزالة العقبات أمام التقدم، ويفسح المجال لبلورة رأي جامع متفق عليه، ومع مرور الوقت تكتسب الجماعة تقاليد الحوار والمشاركة وتقبل الاختلاف. يقول الأستاذ مالك بن نبي: "هذه هي القاعدة العامة التي يجب علينا أن نجعلها دوماً نصب أعيننا: اننا كلما طرحنا مشكلة وعرضنا لها حلاً من الحلول فإن قادة الصراع الفكري يأتون على الفور بما يلفت عنه الأبصار أو ما يزيفه تزييفاً"¹⁰. ولتوضيح هذه الفكرة يضرب الأستاذ مالك بن نبي هذا المثال الذي يترجم فكرة احتواء الأفكار المثمرة في مهدها قبل أن يتحقق الالتفاف الجماهيري والشعبي حولها، فلقد انعقد مؤتمر للعمال الجزائريين بباريس بغرض معالجة قضية عاجلة، وبغرض اسدال ستار عن هذه القضية المركزية موضوع الاجتماع، وجهت دعوة للمستشرقة الألمانية زغريد هونكة لكي تقدم محاضرة عن الحضارة الإسلامية وأجداد الماضي، وعلى الرغم من أن المستشرقة كانت منصبة في ما قدمته في كتابها عن الحضارة الإسلامية في أوقات ازدهارها، إلا أن التوقيت الذي اختارته الجهة المنظمة لهذا الحدث لم يكن مناسباً، وبالأحرى كان مقصوداً للقيام بدور الالهاء والتحريف عن الموضوع الرئيسي في المؤتمر، فيحول دون معالجة المشكلات الراهنة، ويتسبب في تشتيت الانتباه، ويضع ستاراً من معلومات عن أجداد الماضي لكي يعطل من خلالها التركيز في تحديات الحاضر.

أما الآلية الثانية المستخدمة في عرقلة أي محمد ممنهج لاحتواء المشكلات الراهنة المطروحة فتتمثل في عملية التزييف المقصود، والهدف منه هو إثارة الشك في النفوس حتى تهتز ثقة الأفراد ببعضهم البعض، وبهذا تنسف كل حركة جماعية في مهدها.

2. تغذية الاصطفاف الايديولوجي

يقول الأستاذ مالك بن نبي: في سنة 1964 التي الاستاذ "جاك بيرك Jacques Berque" مستشرق فرنسي (محاضرة قيمة بالعاصمة الجزائر، وأنه من أجل أن يشكر السلطات على دعوتهم اياه، طلب مقابلة وزير التوجيه بغرض تنشيط الحياة الفكرية في الجزائر، وتوجيه دعوة للسيد غارودي Roger Garaudy¹¹ نشر ابتداء الى أن توجيه الدعوة الى مستشرق فرنسي يمكن تأويله من عدة زوايا، قد يكون تنشيط الحياة الفكرية من ضمنها، ولكنه لا يشكل السبب الوحيد، ففرصة كهذه تعتبر بمثابة مناسبة له للدعاية بشكل أو بآخر لأيديولوجيته والتي يخاطب به سكان دولة ناشئة لم تتبلور بعد معالم طريقها بشكل محدد، ومن المحتمل كذلك أن تكون أطروحته غير منسجمة مع الثقافة السائدة لا سيما وأنه ينحدر من خلفية ثقافية مختلفة.

يبدو جلياً أن المقصد الرئيسي الذي يبحث عنه جاك بيرك والذي يتوارى خلف إصراره على توجيه الشكر للسلطات الجزائرية، كان بهدف تمرير مقترح توجيه دعوة أخرى لفكر يساري على طرف نقيض من الفكر الذي يحمله، وهذا يدل على أن هناك أجندة خفية يبتغي تحقيقها. لا ينبغي المستشرق الفرنسي جاك بيرك الى نفس الحقل الايديولوجي لروجي غارودي (وهو الذي اسلم لاحقاً وسمي برجاء غارودي)، فالأول يميني والثاني كان يسارياً قبل اسلامه، ومعنى ذلك أن هذا المقترح كان الغرض منه تشتيت المجتمع الجزائري- كدولة حديثة النشأة - بين ايديولوجيات متباينة، فيصطف كل فريق مع المنظومة الفكرية التي تناسبه، فيناصرها ويتنافس مع الفريق الاخر في اثبات جدواها والمنفعة التي يمكن

تحقيقها للمجتمع من خلالها، وبذلك يتنافس الفريقان ويتصارعان، وإذا وصل أحدهما إلى منصة الاشراف على الشأن العام، يعتمد الآخر إلى تعطيل مسيرة المركب لكي يثبت من خلال فشل الفريق المنافس حجية الأفكار التي يدعو إليها. وبذلك تضع الفرصة على المجتمع الناشئ في تجميع طاقاته ضمن اطار واحد ورؤية مشتركة، لأن قوتان متعاكستان في الاتجاه تؤديان إلى الإبقاء على المركب في نقطة الصفر.

3. التلويث الأخلاقي

مما لا شك فيه أن الثقافة السائدة في البيئة المستعمرة تشكل مصدرا ازعاج للمستدمر الغاشم، لذلك فانها تمثل العقبة الأولى التي يستهدف تفكيكها، لأنها ترتقي بالسلوك والوعي إلى أعلى، والمستدمر يريد أن ينزل بالسلوك والوعي إلى أسفل، ولذلك فإن أقرب المسالك لتحقيق هذا الهدف يتمثل في نشر الفقر والحرمان من جهة، ونشر الفساد الأخلاقي من جهة أخرى، لأن ذلك يكفل تحطيم الجانب المعنوي للمجتمع، فتسهل بذلك الهيمنة عليه. يقول الأستاذ بن نبي: "كلما وضع الاستعمار الترتيبات اللازمة لإفقار المستدمر ماديا، فإنه يتبعها بالترتيبات الخاصة بتلويثه الأخلاقي، ليزيد الإفقار والتلوث معا في اتساع الهوة التي يجعلها أمام (القاصر) حتى لا يستطيع بلوغ رشده أبدا" ¹²

وما يلفت الانتباه أن المستدمر يجمع دائما بين الإفقار المادي والفساد الأخلاقي، لأنها كفيلا بمحاصرة الفرد وارغامه على تنفيذ ما يطلب منه، أو على الأقل يترك المستدمر يفعل ما يشاء. فالمستدمر يرفض العمل ويقبل بالتسول، لأن العمل يحفظ للإنسان كرامته، ويضمن له قوت يومه، بينما التسول يفقد معه الإنسان كرامته واحترامه لنفسه، فيسهل عليه خيانة وطنه مثلاً يريد المستدمر. وأما تغذية أفكار الشعوذة فهي دعاية مجانية لفعل الشعوذة والتي يتم تعميمها بعد ذلك لتصبح اطارا مفسرا لكل حركة بما فيها حقيقة تواجد المستدمر وامكانية مقاومته.

وكاجراء احتياطي يعتمد المستدمر إلى " فرض الاستعمار رقابته على الحياة الدينية، لعلمه بأن الدين وحده هو الوسيلة النهائية لتصحيح أخلاق الشعب، الذي فقد في غمار أزمة تاريخه كل هم أخلاقي " ¹³.

لم يراعي المستدمر الفرنسي الغاشم حرمة المساجد مثلاً، فلقد حول بعضها إلى أماكن مخصصة للحيوانات، وهذا التصرف يكشف حقيقة موقفه منها، ولعلمه بارتباط اللغة العربية بالدين فلقد عمد إلى محاصرتها ومنعها واحلال الفرنسية محلها، كما أنه لم يتردد في التضييق على كل من يبدي التزاما بتعاليم الدين سلوكيا، فاذا تنازل عن هذا الالتزام وسلك سلوكا منحرفا يرفع عنه الحصار.

4. البعثات العلمية تحت المهر "الاستعماري"

لا يكتفي المستدمر بحرمان المجتمع "المستدمر" من التعليم كما فعل بالشعب الجزائري أبان الفترة الاستدمارية الغاشمة، بل يسخر كل مراده الاستعمارية في المتابعة الدقيقة والمراقبة اللصيقة لمن يتمكن من الوصول إلى منابع العلم والمعرفة في البلدان المستعمرة نفسها. ذلك لأنه يعلم يقينا أنها لو ظفرت هذه النخبة بالقدر المطلوب من المعرفة الحقيقية وإذا أضفنا لذلك التزامهم الأخلاقي وفعاليتهم ميدانيا فإن ذلك يشكل مصدر تهديد لاستراتيجياته الاستدمارية. يقول الأستاذ مالك بن نبي: "حينما ترسل إلى الخارج بعثة من الطلاب للدراسة العليا، تكون قد قامت تلقائيا بعمل يتصل بالصراع الفكري، ولكنها لا تعلم بالضبط مقتضيات هذا الصراع وأسلوبه ووسائله وأهدافه" ¹⁴

ولذلك تسعى الدوائر "الاستعمارية" المكلفة بمراقبة ملفات البعثات العلمية بتوفير المناخ المناسب لإعاقه التحصيل العلمي، وبذلك تضمن أن يرجع الى بلده الأصلي كل من لم يظفر بيزاد علمي نافع، أو توفر عناصر الجذب الممكنة لمن تميز في مجال العلم والمعرفة، فتنبقيه عندها وتسخر جهده لخدمتها.

5. تكريس ازدواجية اللغوية

اللغة ليست محايدة ولا يمكن اعتبارها وسيلة تواصل فحسب، ذلك لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة، فهي بمثابة الوعاء الذي يستوعب القيم والعادات والأنماط السلوكية والمعتقدات وغير ذلك مما يؤثر في طرائق التفكير والسلوك. وفي توضيح الى أين يمكن أن تؤول اليه الأوضاع من خلال هذه الازدواجية يشير باتريك بوككن بقوله "اذا ما كنا نريد أن نبقي أمة واحدة وشعبا واحدا، فإن نهاية التعليم الثنائي أمر جوهري، لأن وجود لغتين يعني وجود ثقافتين، بل وجود بلدين في نهاية الأمر"¹⁵

بشكل صريح وواضح يعارض بوككن الازدواجية والتعليم الثنائي، لأنه يشكل مصدر تهديد للوحدة، وعاملا مشجعا على التشرذم والانقسام. فاللغة الواحدة أداة موحدة لأفراد المجتمع، ومصدرا للحفاظ على الذاكرة الجماعية، وبالتالي فإن استمرار العناية بها يسهم في تكريس التواصلية بين الأجيال، وبهذا ينتقل الارث الثقافي ويبنى اللاحقون على ما أنجزه السابقون. يقول الأستاذ بن نبي: "الانشقاق الذي أدخلته ازدواجية اللغة في العالم الثقافي للبلد الاسلامي، ليس فقط ذا طابع جهالي بل هو ذو طابع أخلاقي وفلسفي"¹⁶

يرى الأستاذ مالك بن نبي أن الانشقاق الذي أدخلته ازدواجية اللغة في العالم الثقافي للبلد المسلم ليس فقط ذو طابع جهالي بل هو كذلك أخلاقي وفلسفي، مما يعني أن هذه الازدواجية اللغوية ألقت بظلالها على طريقة التفكير ورؤية الواقع وطرائق التعامل معه، فتتشكل بذلك مشاريع مجتمعية متباينة ضمن البلد الواحد، وهما ما قد يؤدي الى انقسام مجتمعي يسعى فيه كل طرف الى عرقلة مجهودات الطرف الاخر. كمثال سفينة تضم ركبا تتعدد أيديولوجياتهم وروؤيتهم لتنظيم الشأن العام، فيختار كل طرف منهم ربانا خاصا بالسفينة، فيختار أحدهم مسلك الشرق، ويفضل الاخر منحى الغرب، وبذلك يتعطل السير، وربما يغرق المركب بمن فيه في نهاية المطاف.

6. الفكرة المجسدة والفكرة المجردة :

وفي هذا الاطار لا ينبغي المستدمر النيل من الأشخاص في حد ذاتهم، لأن الموت يحولهم الى " فكرة مجردة" بعد أن تحققوا بالأنموذج الذي يعكس " الفكرة المجسدة" على أرض الواقع، ومثال على ذلك يشير المفكر بن نبي الى رائد النهضة الاصلاحية في الجزائر المكافح عبد الحميد بن باديس.

فهذا الأخير يمثل أنموذجا لمقاومة المستدمر، لقد اثر الخلاص الجماعي على خلاصه الفردي، فعندما ذهب الى البقاع المقدسة وكان بإمكانه البقاء هناك، الا أنه أخذ بنصيحة من أشار عليه بأنه مجتمعه الذي يقبع تحت نير المستدمر الغاشم أحوج اليه وأقع له من اقامته في غيرها من البلدان. فعاد الى بلده وكرس وقته وجهده في عملية التعليم والتنوير واعادة بعث الروح في الأمة وافاقتها من غفلتها، ولم يكن يتقاضى مقابل ما يقدمه من جهد مقابلا ، وهذا دليل كاف على كونه "فكرة مجسدة" تسير فوق الأرض في بيئة يعمها ظلام الجهل والغفلة، واستطاع تدريجيا قطع أشواط متقدمة في مقاومة أهداف الاستدمار الذي حرص على تجهيل الشعب الجزائري من خلال حرمانه من لغته الوطنية مثلة في اللغة العربية،

حتى يقطع كل صلة بينه وبين تراثه الروحي والثقافي. وكان العمل الذي قام به هو ما مهد لقيام ثورة التحرير، لان الوعي الذي تم تحصيله هو الذي دفع الجزائريين الى التحرر من الخوف واليأس، وامكنهم من مقاومة الظلم الذي سلطه المستعمر الفرنسي على الجزائر.

7. عزل الفكر المقاوم

"الاستعمار يسلط الأضواء الكاشفة على ركن معين من المسرح، أي بالضبط على النقطة التي يريد أن يجمد عندها القوى المناهضة له"¹⁷

يحرص المستعمر على عدم انكشاف مؤامراته الدينية الموجهة ضد البلاد المستعمرة، ولذلك يأخذ في الحسبان أن هناك من بإمكانه التفتن لها، فيسخر قلمه وجمده في سبيل تنوير الرأي العام وتجميع طاقات المواجهة، ولذلك فان الوسيلة المثلى التي يأخذ المستعمر احتياطاته من خلالها هو أن يصرف الانتباه عن الركن الذي يغمره الظلام الدامس بصورة مقصودة، حتى لا تنكشف خيوطه للرأي العام، فيستيقظ النائمون من غفلتهم، وفي الوقت نفسه يتحقق له الانفراد بكل صوت مقاوم، فيعزل فكرته بمن يمثلها على أرض الواقع. ويشبه المفكر مالك بن نبي هذه الاستراتيجية بمثال الثور وقطعة القماش "انهم يلوحون بقطعة قماش أحمر أمام ثور هائج في حلبة الصراع، فيزداد هيجانه بذلك. فبدلاً من أن يهجم على المصارع يستمر في الهجوم على المندبل الأحمر الذي يلوح به حتى تخور قواه"¹⁸

وهذا معناه أن طاقات هائلة تستنزفها البلاد المستعمرة في التركيز على القضية الخطأ، في الوقت الذي يصر المستعمر على تمرير مخطط خبيث في جنح الظلام، وفي غفلة عن أهل البيت.

رابعا: معالم في تحقيق الفعالية والتحرر من القابلية للاستعمار:

يتخطب الغرب الاستعماري اليوم في فوضى أخلاقية هي نتاج لتراكمات اعتياده على العملية الاستعمارية أو بالأحرى الاستدمارية تجاه الشعوب الأخرى خاصة في المنطقة العربية والاسلامية. واذا كانت هذه الأخيرة لا تزال تعاني من اثار تلك الفترة فان الوضع في البلاد الغربية التي تهمن على المشهد العالمي حاليا ليس في أحسن أحواله، بل بالعكس فان الغرب اليوم يقبض فاتورة الحرب التي تسببت في معاناة شعوب بأكملها، وفي هذا الاطار يشير الأستاذ مالك بن نبي الى أنه "اذا كانت وطأة الاستعمار شديدة على الحياة الاسلامية، فهي شديدة أيضا على الحياة الأوربية لأن الاستعمار الذي يقضي على المستعمر ماديا يقضي على المستعمر أخلاقيا"¹⁹

ولعل كتاب باتريك بوككن والذي عنوانه 'موت الغرب: كيف تهدد شيخوخة السكان وغزوات المهاجرين ثقافتنا وحضارتنا' يتضمن دلالات صادمة لأنه يتنبأ بانقراض امبراطوريات بالمعنى السياسي، سيطرت ولا تزال على المشهد العالمي ردحا من الزمن. اضافة الى أنه يطرح منظورا جديدا يتناقض مع ما تشير اليه أطروحات أخرى لقيت رواجا كبيرا فيما سبق مثل كتاب "نهاية التاريخ والانسان الأخير" لفرنسيس فوكوياما، أو حتى كتاب "صدام الحضارات" لصمويل هنتنغتون.

"فشيخوخة السكان": تتضمن اشارة الى المشكلة الأساسية التي تهدد الغرب والتي تتجلى في أن الغرب لم يعد بإمكانه ان يجدد نفسه بفعل تراجع النمو الديموغرافي. و"الخوف من غزوات المهاجرين": يتضمن تعبير "الغزو" حمولة ثقافية تشكل تهديدا لما هو سائد ثقافيا في الدول الغربية، وما يؤكد ذلك هو استخدامه مصطلح "ثقافتنا." و"تهديد لثقافتنا":

بمعنى يشكل خطرا محدقا بالجانب المعنوي الذي يقوم عليه الكيان الغربي. وهذا يذكرنا بتقرير " أمة في خطر " الذي تم وضعه لمراجعة المنظومة التعليمية الأمريكية بسبب تفوق الاتحاد السوفياتي في الوصول الى القمر قبل الولايات المتحدة الأمريكية. و "تهديد حضارتنا": والمقصود أن المنجزات المادية التي تحققت للغرب في عالم اليوم يهددها خطر الزوال، أو لنقل تحديدا إمكانية انتقال مركز الثقل العالمي الى أطراف أخرى منافسة.

يشير بوكان بأصابع الاتهام الى الأفكار التي تغلغت في المجتمع الأمريكي خصوصا والمجتمعات الغربية عموما، والتي كانت تبدو جذابة للوهلة الاولى، ولكن تداعياتها بعد ذلك أوصلتهم الى طريق مسدود، بحيث ان التراجع الأخلاقي كانت مقدمة الى التراجع الديموغرافي وفي هذا الاطار يقول بوكان: " في موت الغرب، يجب أن تعتبر مدرسة فرانكفورت طبقتها منها أولا ومتامرا رئيسيا. ان الهجوم الدعائي على الأسرة الذي دعت اليه هذه المدرسة أسهم في انهيار الأسرة، والأسر النووية اليوم تمثل أقل من ربع بيوت الولايات المتحدة الأمريكية، وتحرير النساء من الأدوار التقليدية للزوجة والأم، وهو التحرير الذي كانت مدرسة فرانكفورت من بين أول من تبناه قاد الى اهانة هذه الأدوار والخط من قدرها في المجتمع الأمريكي"²⁰

وفي موضع اخر وضع الاستاذ مالك بن نبي اليد على الجرح ، وشخص موضع الباء الذي يعيد انتاج الرداءة بأشكال متنوعة في جميع المرافق والقطاعات، واختصر المشهد كله في عبارة واحدة مؤداها " ان العلم الذي تقدمه لأبنائنا في المدارس والجامعات لا يؤدي وظيفة الثقافة"، بمعنى أنه لا يتوافق مع مقتضيات صياغة البعد الثقافي لأبنائنا لغويا، أخلاقيا، اجتماعي، جماليا وابداعيا. واذا كان القصور الثقافي يشكل الفضاء التعليمي منبعه الأساسي، فهذا يعني أن المصدر الأول الذي يشكل العقول ويهذب النفوس أصيب في ورطة خطيرة.

وفي إشارة الى أهمية النماذج والقنوات التي تركز عليها المناهج التعليمية، يقول الأستاذ بن نبي: " اننا نرى أن الفن الجميل دخلا حتى في الصور التي نختار لأطفالنا الصغار في كتبهم المدرسية، فقد شاهدت صورة في كتاب مدرسي للأطفال يدرس في مصر قبل الثورة ويظهر فيه طفل ترافقه أخته، وهما ذاهبان الى المدرسة ووراءهما خادم يحمل لهما حقيبتها. فهذه صورة تبعث في نفس الطفل روح الاتكال واحتقار العمل والعاملين، وفي تصور ما يناسب حاجة الباشوات الذين كان يدهم من قبل ناصية الأمر، لا سواد الشعب."²¹

رغم أن الأمر يبدو ظاهريا مرتبطا بصورة، الا أنه من الناحية الدلالية يتضمن مقاصد شتى يرتبط أولها بغرس قيمة سلبية تجاه العمل نفسه، لأن الذي يعجز عن القيام بالمهام الصغيرة ، سيكون حتما غير مؤهل لكي ينجز الأعمال الكبيرة، وبذلك ينشأ الطفل عمليا انسانا سلبيا لا يأكل من عمل يده، ويصبح الكسل عادة له بدل العمل، والتسول وجمحة له عوضا عن البذل، واذا كان من عائلة ميسورة الحال نشأ مستهلكا لا منتجا. ويتعلق الأمر الثاني بغرس القيمة في الوسط الاجتماعي كتحصيل حاصل، لأن عملية التنشئة الاجتماعية تمت من خلال مؤسسة تربوية يتلقى الأطفال فيها نفس القيم وينغمسون في المعاني نفسها، فتنتشر بذلك السلوكيات السلبية بين الجميع ويتناقلها الناس فيما بينهم من خلال الاحتكاك والافتداء، وبذلك تتردى العلاقات الاجتماعية فيفيض الناس بعضهم بعضا، ويجد الفساد مرتعا خصبا في هذه البيئة، فتفسدك العلاقات الاجتماعية، مما ينذر بتداعيات أخرى تنسف بتناسك المجتمع ثم اندثاره.

إذا كانت الإشكالية ثقافية بالدرجة الأولى، وكل ما تشهده القطاعات الأخرى هي انعكاس طبيعي لها، فإن طبيعة المراجعة في المجال التعليمي خصوصا ينبغي أن تقوم على أساس إعادة النظر في المحتوى الثقافي واللغوي الذي يقدم لأبنائنا في المدارس بما يتوافق مع القيم الأصيلة للمجتمع الجزائري، ويتيح الانسجام مع متطلبات العصر، والاستفادة من التجارب الناجحة والحكمة الموجودة في أي مكان في العالم. ولعله من نافلة القول التذكير بأهمية الغرس الثقافي في سن مبكرة، لأن ذلك يشكل تنمية للفرد وصقل لمواهبه واستعداداته لينهل بعد ذلك من شتى العلوم والمعارف، فيكون فاعلا ومبدعا في المجال الذي يناسبه ويلبي انتظارات مجتمعه وأمنته.

يزخر تراثنا الثقافي بالكثير من الأعمال الأدبية الرائعة التي تعكس قيا ثقافية وحضارية، ويبدو أنها مغيبة عن المحتوى الدراسي الذي نوجه لأبنائنا في المدارس بطريقة مبهمة وتطرح الكثير من التساؤلات حول الأسباب والمبررات، خصوصا وأن القانون التوجيهي للتربية الوطنية 2008 ينص في المادة الثانية التي تتناول غايات التربية على "تكوين جيل متشبع بمبادئ الإسلام وقيمه الروحية والأخلاقية والثقافية والحضارية"، وهذا يعني على الأقل تكوين بنك من النصوص الراقية ثقافيا وإدراجها ضمن البرنامج التعليمي الموجه للمتمدرسين.

وعملية التنمية الثقافية تتطلب غرس القيم الثقافية التي تعكس هوية المجتمع الأصيلة في نفوس المتعلمين في الفضاءات التعليمية المختلفة، فإذا كان المتعلم بحاجة إلى طعام يسد به حاجته بيولوجيا، فانه بحاجة إلى تغذية ثقافية يتم انتقاؤها بحرص وعناية، لأنها تسهم في عملية التهذيب وأكساب العادات المطلوبة والقدرات المرغوبة، والاندماج المجتمعي الفاعل، وهذا يحتاج إلى وعي بالهوية والتاريخ والالتقاء إلى النماذج والقنوات التي تزخر بها حضارة الأمة في عصور ازدهارها.

وفي المجال الإعلامي لو قدر للأستاذ مالك بن نبي مواكبة ما هو حاصل ضمن ما يسمى العولمة الإعلامية والاتصالية من تعدد للوسائل واستحواذها على المجال الاجتماعي والنقسي للأفراد بشكل غير مسبوق، لقال: "إن المحتوى الذي يقدم لأبنائنا عبر وسائط الاعلام المختلفة لا يؤدي وظيفة الثقافة". بمعنى أنه لا يرتقي بالأخلاق ولا يوثق العلاقات ولا يشيع الآداب ولا ينشر الحس الجمالي والابداعي بين الأفراد المتلقين، وكأنه موجه بقصدية راسخة إلى تحطيم ما تبقى من البناء الثقافي المتوارث وإضافة النفايات الثقافية المستوردة لتقوم بدور المزاحمة والتشكيك والالهاء وصولا إلى تحقيق التغيير الثقافي المرغوب.

تتضمن كتابات الأستاذ مالك بن نبي إشارات هامة في كيفية تحقيق النهضة الحضارية والخروج من دائرة القابلية للاستعمار وبالتالي التحرر من قيود التبعية والهممنة، ويعلنها صريحة بأن إمكانية النهوض قائمة بقوله "إن المستعمر يستطيع التحرر من قابليته للاستعمار بقدر اعتياده على ذكائه وحمده للتغلب على الصعوبات وتخطي العثرات واجتياز العراقيل. فنراه عندئذ يبن بنفسه-كما حدث في الجزائر-الحوامع الجديدة التي يؤمها بحرية للعبادة، كما يبن المدارس الجديدة التي يتابع فيها أولاده بحرية دراستهم وذلك لأن المسلم حتى في عصر ما بعد الموحدين لم يفقد إيمانه"²²

خاتمة

إن استدعاء أفكار المفكرين المهتمين بأوضاع المنطقة العربية والإسلامية فيما بعد الفترة الاستعمارية ينطوي على أهمية بالغة تسهم في توجيهنا إلى تفكيك الخطاب الاستعماري وكشف مؤامراته ومن ثم تحديد مكامن الخلل في ثقافتنا ومختلف

تداعياتها المحتملة في المجالات الأخرى وكذا التماس سبل احتوائها. ولكونها تنطلق من معطيات تاريخية ملموسة تمت معاشتها عن قرب، فإن الاستنتاجات التي تقودنا إليها تكون أكثر تعبيراً عن الحقيقة الاستعمارية. وما يمكن استنتاجه في نهاية هذه الورقة ما يلي:

- أن مستعمر الأمس لا يزال يرصد كل ما يحدث في الدول التي سبق له احتلالها، ويطور الأدوات والاليات المناسبة التي تتيح له المتابعة الدقيقة للأوضاع الداخلية عن قرب وعن بعد، وبخاصة من خلال توظيف الوسائل التكنولوجية التي حولت العالم إلى قرية صغيرة.

- أن الأساليب التي يعتمد عليها مستعمر الأمس تكون غالباً مخفية، وغير معلنة، الأمر الذي يتطلب درجة عالية من التفكير النقدي الذي يتجاوز الجوانب المظهرية والسطحية في المواقف والعلاقات.

- إن إمكانية تجاوز الوضع الحالي وتحقيق الإنجاز الحضاري لا يزال ممكنًا إذا ما تم تشخيص الوضع الثقافي بشكل صحيح، وتم تفعيل المؤسسات التي تضطلع بالوظيفة الثقافية كما يجب أن يكون، وليس وفقاً لما هو كائن، ونخص بالذكر المؤسسة التعليمية والمؤسسة الإعلامية.

هوامش

- ¹ سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، بغداد، دار الكتب العلمية، 2014، ص: 256
- ² المرجع السابق، ص: 256
- ³ المرجع السابق، ص: 260
- ⁴ مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دمشق، دار الفكر، 2016، ص: 133
- ⁵ مالك بن نبي، في محب المعركة، دمشق، دار الفكر، 2016، ص: 46
- ⁶ مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دمشق، دار الفكر، 2002، ص: 95
- ⁷ مالك بن نبي، مستقبل الإسلام، ترجمة شعبان بركات، بيروت، المطبعة العصرية، دت ص: 73
- ⁸ مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص: 38
- ⁹ مالك بن نبي، من أجل التغيير، دمشق، دار الفكر، 2016، ص: 105
- ¹⁰ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، بيروت، دار الإرشاد، 1969، ص: 18
- ¹¹ مالك بن نبي، في الحضارة وفي الأيديولوجيا، ترجمة محمد بغداد باي، الجزائر، عالم الأفكار، 2014، ص: 81
- ¹² مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص: 116
- ¹³ المرجع السابق، ص: 116
- ¹⁴ مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص: 33
- ¹⁵ باتريك بوكان، موت الغرب، ترجمة محمد محمود التوبة، الرياض، مكتبة العبيكان، 2005، ص: 439
- ¹⁶ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، بيروت، دار الفكر، 2015، ص: 139
- ¹⁷ مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص: 30
- ¹⁸ المرجع السابق، ص: 29

¹⁹ مالك بن نبي، مستقبل الاسلام، ص: 106

²⁰ باتريك بوكان، مرجع سابق، ص: 173

²¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، دمشق، دار الفكر، 2016- ص 127

²² مالك بن نبي، مستقبل الاسلام، ص: 102

قائمة المراجع:

1. باتريك جيه بوكان، موت الغرب، ترجمة محمد محمود التوبة، الرياض، مكتبة العبيكان، 2005.
2. سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، بغداد، دار الكتب العلمية، 2014.
3. مالك بن نبي، من أجل التغيير، دمشق، دار الفكر، 2016.
4. مالك بن نبي، في محب المعركة، دمشق، دار الفكر، 2016.
5. مالك بن نبي، مستقبل الاسلام، ترجمة شعبان بركات، بيروت، المطبعة العصرية، دت
6. مالك بن نبي، شروط النهضة، بيروت، دار الفكر المعاصر، 2015
7. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، بيروت، دار الفكر، 2015،
8. مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دمشق، دار الفكر، 2016
9. مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي. دمشق، دار الفكر، 2002
10. مالك بن نبي، في الحضارة وفي الايديولوجيا، ترجمة محمد بغداد باي، الجزائر، عالم الأفكار، 2014
11. مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث، بيروت، دار الارشاد، 1969.
12. مالك بن نبي، شروط النهضة، دمشق، دار الفكر، 2016.